الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

في منطقة الشرق الأوسط.. حاكم مستبد وشعوب مقهورة

كاظم حبيب

نحن بنات وأبناء منطقة الشرق الأوسط نواجه ظاهرة قديمة متجددة، ظاهرة يعاد إنتاجها دون انقطاع، رغم المآسي التي تسببت بها هذه الظاهرة المريعة لشعوب هذه البلدان حتى الآن، إنها ظاهرة الحاكم المستبد بأمره المصاب بالنرجسية والتعالي والسادية والاستهانة بشعبه، المستبد المتمرد على شعبه والمتحكم برقاب سكان بلده والرافض لمبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق القوميات والعدالة الاجتماعية وحقوق المرأة والضارب عرض الحائط حتى الشريعة التي يتمسح بها، هذا المستبد الممارس لكل المظالم والغارق في الجهل والأمية السياسية والثقافية والفاقد لمعنى الثقافة والمنتعش بجدبها وبهدر كرامة الإنسان والمالئ لسجونه ومعتقلاته بالكثير والكثير جداً من أصحاب الرأي الآخر والعقيدة الأخرى.

كما أن هذا الحاكم مستعد إلى استئصال من يقف بوجهه أو يطالب باحترام حقوقه شخصاً كان أم جماعة، فما أسهل عليه أن يقول للمنتفضين "سنستأصلكم عن بكرة أبيكم!"، كما قال الدكتاتور صدام مرة اقتل ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ أو ١٠٠٠٠ ولا ترتعش يدي!، إذ فعلها حقاً في الأنفال وحلبجة مثلاً "دون أن يرمش له جفن!".

كم من حاكم لدينا يرى في نفسه أنه الأعقل بين حكام العالم وأكثرهم عدلاً ورقة وشعبية، ويرى الحكام الآخرين أقل موهبة وحكمة وعدالة منه وأقل هيبة منه لدى شعوبهم!

كم من حاكم في هذه المنطقة من العالم، التي ظهر فيها المصلحون ومشرعو اللوائح القانونية والدساتير والأنبياء، مصاب بجنون العظمة وازدواج الشخصية وكل الأمراض النفسية الأخرى التي يمكن تشخيصها فيه من جانب علماء علم النفس الاجتماعي. كم من حاكم يسعى إلى أن يطأ بأقدامه القذرة رؤوس الناس الطيبين من بنات وأبناء شعبه ويريد من الناس أن تطأطئ له رؤوسها وتنحني إجلالاً له، وهو الفاسد والمنافق والحاقد.

نحن أمام أناس يعتقدون أنهم ليسوا ملوكاً وأمراء وحكاماً في الأرض فحسب، بل هم وكلاء وأولياء الله على الناس، بل أن بعضهم يرى في نفسه إنه الله بعينه! إنه ملك الملوك وإله الآلهة كلهم!

كم من سياسي، مدنياً كان أم عسكرياً، ثار على الملكية وأطاح بها عبر القوات العسكرية أو بأساليب أخرى بذريعة إعادة الحق إلى أهله ونصابه وممارسة العدل والإنصاف، ثم أصبح هو الملك المتوج وراح ينعت نفسه بأسماء لا أول لها ولا آخر ولا معنى لها مثل "ملك ملوك أفريقيا"، ثم تنتفخ أوداجه حين ينادي أحد رؤساء الدول العربية صاحبنا بهذا الاسم الذي لا يلائم سوى المجانين على أرض الواقع ونزلاء مستشفى الأمراض العقلية؟

كم من حاكم يعتقد بأنه لا يمكن أن يُعوض بغيره من فرط دهائه وحب الشعب له بسبب "إخلاصه" للوطن، فهو المتفرد وهو الأوحد والأمثل والأكمل، وعليه فلا بد له من أن يبقى على رأس السلطة مدى الحياة، وعلى الشعب أن يوقع له بالدم على ذلك. ومثل هذا الحاكم المستبد بأمره لا يريد أن يعي ويدرك بأنه لا يساوي في نظر شعبه وشعوب العالم شروى نقير، حتى أصبح البعض الكثير منهم أضحوكة لبقية حكام العالم كله وشعوب الكرة الأرضية، إنها "المأساة والملهاة" في آن واحد التي تعيشها أغلب شعوب منطقة الشرق الأوسط!

لقد أسقط البعض منهم الملكية لينهي نظام السلالات الوراثية، وأقام الجمهورية، ولكنه بدأ بتكريس سلالته لتشكل نظاماً جديداً يمكن أن نطلق عليه "الجمهلكية" (الجمهورية الملكية)! وليفرض الاستبداد من جديد على رؤوس الأمة!

كم من حاكم فاشي النهج والممارسة، يقف متحدياً العالم كله وشاتماً إياه وممزقاً اللائحة الدولية التي تنظم عمل الأمم المتحدة من على منصة الأمم المتحدة متحدياً شعوب ودول الأرض كلها، أو حاكم آخر يقسم بالطلاق في أنه سيستأصل قبيلة الحوثيين في "اليمن السعيد!" جداً، بدلاً من تأكيد أهمية حل المشكلات بالطرق السلمية التفاوضية، في وقت ترتفع أصوات المحتجين في الجنوب مطالبين بالانفصال عن المستبد بأمره بسبب تفاقم الفقر والبطالة والتمييز، وحاكم آخر في هذه المنطقة من العالم يتحدى العالم كله ويثير الناس ضد شعب فلسطين وقضيته العادلة بذريعة الدفاع عن قضية فلسطين ومحو إسرائيل من خلال تحدي الحقائق التاريخية بشأن الهولوكست ضد اليهود في ألمانيا وفي أوروبا التي نفذها النظام النازي والفاشي في ألمانيا في النصف الثاني من العقد الرابع من القرن العشرين وأثناء الحرب العالمية الثانية ومعسكرات الاعتقال التي أدت إلى قتل أكثر من خمسة ملايين إنسان من أتباع الديانة اليهودية، إضافة إلى عشرات ألوف القتلى من شيوعيين واشتراكيين وديمقراطيين مسحيين، وكذلك الكثير من بنات وأبناء قوميات سلافية والروما والسنتي (أي الغجر أو النوريين)، دون أن يكون له أدنى مبرر وأدنى سند حقيقي لمثل هذا الإنكار العدواني؟ يكفي هذا الحاكم أن يزور المعتقلات النازية في ألمانيا، ومنها: ساكسن هاوزن، بوخن فالد، داخاو ..، وغيرها، أو أوسشفتس في بولونيا أو غيرها في دول أوروبية أخرى ليتيقن مما يسعى إلى تكذيبه ويثير لشعوبنا في المنطقة المزيد من المشكلات التي هم في غنى عنها. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن مجموعة غير قليلة من العرب قد وجدت في هذه المعسكرات النازية الرهيبة. جاء في كتاب المستشرق الألماني "كيرهارد هب" الموسوم "العرب في المحرقة النازية ضحايا منسيون" الذي ترجم إلى العربية من قبل محمد حديد ونشر في دمشق ما يلي: "في مجمل الإحصاء حتى الآن وجد نحو ألف معتقل عربي على الأقل. وتتصدّر الجزائر اللائحة (٢٤٨ معتقلاً) ويليها المغرب (٢٧) ثم تونس (٢٢) والعراق (٤) وفلسطين (٤) ثم لبنان وسوريا، علاوة على ليبيا واليمن الدولتين اللتين لم يشملهما الإحصاء. ومن الملاحظ أن يهوداً عرباً من ليبيا واليمن والمغرب والعراق، كانوا في عداد هؤلاء." (راجع موقع نسيج الإلكتروني بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/٨)

كم من حاكم أبله يحمل عصاه بيديه ويرقص كالقردة ليُضحك الآخرين من أعضاء حزبه ويتحدى العالم كصاحبه المقبور المهووس بالصور والتماثيل والأزياء والألقاب صدام في عدوانيته ومقابره الجماعية وجرائمه ضد الإنسانية. وحين ينتهي هذا النظام ستظهر المقابر الجماعية وتكتشف وتعرض على العالم ليروا بأم أعينهم ما فعله هذا "الدكتاتور المسلم".

وكم من حاكم يشبه في أوهامه دون كيشوت الذي يقاتل الطواحين الهوائية متصوراً إياها جيوشاً جرارة لعدو مدجج بالسلاح،

كم، وكم، وكم من الحكام المستبدين ابتلت بهم شعوب الأرض منذ نشوء البشرية حتى الآن؟ إنهم كثيرون لا يحصون، ولكن أغلبهم ولد وترعرع وحكم على هذه الأرض الطيبة، على أرض منطقة الشرق الأوسط، في بلدانها العربية وغير العربية.

كان لنا في العراق حكام أوباش قتلة، يكفينا أن نقرأ ملحمة كلكامش لشاعر مبدع لنتيقن من الاستبداد الذي ساد تلك الفترة والذي وجد تعبيره في الملك الذي لم يترك امرأة متزوجة أو مخطوبة أو عذراء إلا ودخل فيها عنوة، ألم يكن في العراق الحجاج بن يوسف الثقفي وعبيد بن زياد بن أبي سفيان وزياد بن أبيه والسفاح وجمهرة من الخلفاء العباسيين الذين تميزوا بالظلم والاستبداد وناصبوا الإنسان العداء، ومن ثم كان لنا الجزار ومؤسس القبور الجماعية صدام وأول من استخدم السلاح الكيماوي ضد شعبه في منطقة الشرق الأوسط. وإذا كان علي حسن المجيد قد استحق لقب "علي كيماوي"، فإن اللقب اللائق بصدام هو "أبو القبور الجماعية"، إذ كان هو الجزار الحقيقي في بلاد الرافدين وكردستان العراق.

ثم للنظر معاً إلى إيران وما في سجونها من بشر يقبعون في ظلمات الدهاليز حيث يتعرضون للتعذيب على الطريقة "الإسلامية!" والاغتصاب "الإسلامي!" للنساء والرجال، ولا يكف عنهم "حراس الثورة" ليل نهار بذريعة التأديب وفرض التوبة. أنظروا كيف يواجه كل العالم حاكمهم المجنون ويسعى لامتلاك السلاح النووي ويجوع شعبه تماماً كما فعل قبله من كان حاكماً أفّاكاً في العراق، وسينتهي إلى نفس مصير صدام إن سار على درب الصدّ ما ردّ!

لم يكن العراق بعيداً عن كل ذلك، بل كان في القلب من هذه المنطقة التي حملت وأنجبت المئات والمئات من الحكام المستبدين والذين مرغوا وجوه شعب العراق بالتراب وشنوا به الحروب وهدروا كرامته وعزة نفسه. مات الكثير من هؤلاء الحكام المستبدين، ولكن الأرض العراقية، كما يبدو، لا تزال تعيد إنتاج المستبدين، فمتى يتوقف هذا البلد عن إنجاب المستبدين والفاسدين والمفسدين، متى يعم الهدوء ربوع الأرض الطيبة وينتشر إلى بقية بقاع هذه المنطقة المبتلاة بهم؟

غنى الشاعر التونسي الشاب أبو القاسم الشابي بأبيات شعر، ولكنه مات وهو في ريعان الشباب ولم يطل به العمر ليمتحن المضامين التي وردت في شعره ليرى إن كان مصيباً في ما قال:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر

أشك في أن القدر سيستجيب لرغبة الشعوب وإرادتها الحرة في الخلاص من حكامها المجانين والمستبدين ما لم تأخذ هذه الشعوب الأمر بيديها وتغير من أسلوب حياتها ومن بنية اقتصادها وعلاقاتها الاجتماعية ووعيها السياسي والديني والاجتماعي في هذا البلد أو ذاك من بلدان المنطقة التي يفترض أن تكون لها عقلية وتربية ووعي جديد وسلوك اجتماعي وسياسي آخر وتنتج تقاليد وعادات وقيماً أخرى غير السائدة حالياً والعائدة لعقود وقرون سحيقة في القدم لا تزال تسيّر الناس وتتحكم بإرادتهم وأفعالهم وتخلق لهم من الحكام المستبدين ما يكفي لقهر العالم كله بهم.

إن المشكلة التي تبدو للعيان حالياً هي أن هؤلاء الحكام يسعون لأن يخلقوا في شعوبهم الكثير ممن على شاكلتهم، أن يكونوا نموذجاً لهم، حينها تكون المصيبة أعظم والعذاب أطول والحياة أكثر إرهاقاً على البشر.

في عام ١٩٧٦ صرح صدام بأنه يسعى إلى خلق شبيبة مماثلة له، وأن يكون نموذجاً لها في المأكل والملبس والتصرف والسلوك والعلاقات. وقد ترك لنا كما يبدو الكثير في ما أراد إعادة إنتاجه! ولكن ذلك لم يقتصر على حزب البعث الحاكم حينذاك، بل ترك أثره الملموس ونهجه في التعامل مع المجتمع ومع الآخر على عدد غير قليل من الناس، ولكن بشكل خاص على أعضاء أحزاب سياسية أخرى نعيش تحت وطأتها سياساتها وممارساتها في يومنا هذا.

حين يموت هذا المستبد أو ذاك يطاح بحكمه وبه، فهذا لا يعني أن المستبدين قد انتهوا، إذ أن إعادة إنتاجهم سيتواصل إلى أن تصفى الأرضية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي ساهمت وتساهم أساساً في إعادة إنتاج المستبدين...

جائزة نوبل لأوباما.. هل يصنع الكلام السلام؟

علاء خالد غزالة

منحت لجنة جائزة نوبل التابعة للاكاديمية السويدية جائزة السلام لهذا العام الى الرئيس الاميركي باراك اوباما، "لجهوده في إحلال السلم العالمي، وخفض مخزون العالم من أسلحة الدمار الشامل"، حسبما جاء في بيان الاكاديمية. يذكر ان اسم الرئيس الاميركي لم يكن مطروحا من بين المرشحين، وان المرشحة الاقرب الى الفوز كانت السيناتورة الكولومبية بيداد كوردوبا، التي عملت على مدى نصف قرن من أجل ايجاد حل بالتفاوض للنزاع الجاري في بلادها.

ربما لم يكن الرئيس بحاجة الى هذه الجائزة بالقدر الذي كانت تحتاجه تلك السيناتورة المتعبة. فهو لا يمتلك تاريخا طويلا من النضال، ولم يقدم شيئا ملموسا، فيما عدا الخطب الرنانة، لكي يعد من بين القادة الذين يشار لهم بالبنان، وبالتالي من الذين ينالهم التكريم والتقدير لجهودهم الجبارة.

لكن هذا هو عصر اوباما. هذا هو الزمن الذي يتخلى فيه الناس عن التفكير المنطقي العقلاني سعيا وراء آمال اقرب الى السراب. لقد جاء الرئيس الى سدة الحكم على انه البديل الوحيد للادارة الاميركية السابقة التي وصفت بانها الاقل شعبية بين مواطنيها. **واكتسح منافسيه بسهولة لا تصدق، رغم شعبيتهم الواسعة وخبرتهم السياسية العريضة. جاء بشعار التغيير الذي لا يمكن تصديقه بأي حال.** لكن الناخبين صدقوه، وصوتوا له. وكان اول قرار له بعد ان ادى اليمين القانونية اغلاق معسكر غوانتانامو خلال عام. ويبدو انه لم يستشر موظفيه المعنيين بهذا الشأن، او انه تجاهل نصيحتهم. فحتى بعد مرور اكثر من ثمانية اشهر على ذلك القرار، لا يبدو انه سيطبق بسبب الصعوبات اللوجستية والمادية وقضايا حقوق الانسان بشأن المعتقلين المزمع اعادتهم الى بلدانهم. حينما يكون المرء في المعارضة، يسهل عليه نقد اداء الحكومة، ولكن حينما يصبح في الحكومة يكتشف ان (التغيير) لا يتم بتوقيع قرار في احتفال مهيب. اما اذا تجاهل مثل هذا السياسي تلك الحقيقة البسيطة، فانه قد يحصل على جائزة نوبل تقديرا لجهوده في جرّ القلم. نعم، برّ اوباما، حتى الآن، بوعوده الانتخابية بسحب القوات القتالية من العراق. لكن يجدر التذكر بان هذا الانسحاب يتم بموجب الاتفاقية الامنية مع العراق، والتي ابرمها سلفه جورج دبليو بوش. فهل يُعد هذا انجازا له؟ لدينا مثل عامي في العراق يقول (يجي خلاف ويركب على الاكتاف). لقد كان الانسحاب من العراق امرا لامبحص عنه، سواء تم بسنتين او بثلاث، وما كان لأي احد ان يطيل من عمر الاحتلال، شاء اوباما بذلك ام ابى. وحينما اراد الرئيس اوباما ان يتحدث الى العالم الاسلامي فانه اختار اولا الدولة العلمانية تركيا، ومن ثم مصر، التي يحكمها نظام علماني هي الاخرى. وهو تجنب بذكاء ان يذكر كلمة (ارهاب) ومشتقاتها في خطبه للمسلمين، لكي ينحي جانبا الافكار التي تربط بين الاسلام والارهاب. بيد اني ارى انه بفعله هذا أكد ان هناك نوعا من الربط، والا لماذا يتجنب وصف فعل ادى الى مقتل الابرياء بالارهاب، رغم ان الغالبية العظمى من المسلمين وصفته بهذا المسمى. ماذا يقول الشهداء في العراق وافغانستان والسعودية ومصر ولبنان والاردن والجزائر واليمن وباكستان والصومال واندونيسيا والفلبين والهند، وبلدان اخرى كثيرة، عن وقوعهم ضحية لهجمات مسلحة تحت اسم (الجهاد)؟ ماذا نقول لعوائل ضحايا هجمات منهاتن ومدريد ولندن؟ هل كان المنفذون اناسا عاديين، ام انهم ببساطة ارهابيون عاثوا في الارض فسادا، وجلبوا لاهلهم وبلدانهم حروبا ومآسي اكثر مما خدموا قضيتهم، ان كانوا يعملون على قضية ما؟ ان حقيقة كون هؤلاء الارهابيين مسلمين لا تعني ان المسلمين كلهم ارهابيون. لكن ماذا يحصل ان تجاوزت هذه الحقيقة؟ ربما تحصل على جائزة نوبل للسلام.

بل انك قد تحصل على الجائزة وان كنت تعمل على رفع المجهود الحربي في بلد تحتله. كتبت كبريات الصحف الاميركية واصفة الحرب في افغانستان بانها (حرب اوباما). ومن سخرية الاقدار ان الحرب في العراق وصفت من قبل بـ(حرب بوش). فما المبرر في زيادة القوات؟ انه القضاء على الارهاب. ان كان ذلك حقا، فأين هو مصطلح الارهاب في قاموس اوباما؟

ومن نافلة القول ان جهود نزع التسلح والحد من الاسلحة النووية لم تأت من بنات أفكار اوباما، بل انها سياسة متعبة منذ السبيعينيات. وهي ليست وليدة رغبة الولايات المتحدة في السلام، بل حاجة فرضتها الحرب الباردة التي كانت تهدد بالاشتعال في أي وقت والتحول الى حرب كونية لاهبة قد تقود الى فناء الجنس البشري، وربما كل اشكال الحياة على الارض. كيف إذا يكون هذا هو احد مبررات الاكاديمية السويدية لمنح الجائزة لمرشح اللحظة الاخيرة؟ بان يكون هذا المرشح هو باراك اوباما.

غير انه من الانصاف القول بان اللجنة قالت ايضا في بيانها: "قليلون هم من حازوا انتباه العالم مثلما فعل أوباما، لقد أعطى العالم أملاً بالتغيير والمستقبل الأفضل.. ودبلوماسيته قامت على مبدأ أن من يقود العالم عليه أن يكون مثالا يُحتذى في القيم والمبادئ." واتفق مع هذا القول تماما، الا اني لا ارى ان في ذلك سببا كافيا لتقديمه على كل المرشحين الآخرين، الذي عملوا بجد على مدى عقود من الزمن من اجل تحقيق هذه المبادئ.

ان عمر الرئيس اوباما في المنصب لايزال صغيرا، ولا يصلح الحكم على ادائه في تلك الفترة القصيرة، لا سلبا ولا ايجابا. ومن الواضح ان لجنة منح جائزة نوبل وقعت تحت تأثير شخصيته الكارزمية الطاغية، التي سحرت الولايات المتحدة والغرب عموما، ومن ثم بدأت في الانتشار في شتى انحاء المعمورة.

فما هو السر في هذه الشعبية التي قلّ نظيرها في التاريخ؟ انها الماكنة الدعائية الاميركية. تلك البروباغاندا التي روجت ضد النازنية ومن بعدها الشيوعية وصولا الى الحرب على الارهاب، تروج اليوم لرئيسها وتهلل له. لقد ادركت الولايات المتحدة، ربما عن غير وعي، ان عصرها أشرف على الزوال بعد كل تلك الحروب والازمات، بغض النظر عن المسببات والنتائج، فكان التحرك بالاتجاه المعاكس. كما ان تغيير الادارة ليس مهما بقدر تغيير الشخصية. لقد ارادت اميركا ان تثبت للعالم انها امة ريادية حتى مع تعرضها الى ازمات سياسية واقتصادية خانقة. وكان الخروج من النفق من خلال شعار التغيير: تغيير العرق اولا، ومن ثم تغيير اللهجة الخطابية، واخيرا تغيير الثوابت السابقة. فهل ستتمكن الولايات المتحدة الاميركية من تحقيق هذا التغيير المنشود؟ ربما، ولكن يجب على الاخرين ان يتغيروا ايضا. فما الفائدة من مد اليد الى ايران –مثلا– اذا كانت تسعى الى امتلاك اسلحة نووية قد تشعل سباقا للتسلح النووي في المنطقة لا تحمد عقباه، واذا كانت تعامل شعبها بالنار والحديد؟ ومن المفارقة ان الاميركيين انتقدوا اداء اوباما الضعيف اثناء الانتفاضة الايرانية، وطالبوه ان يظهر "قليلا من قوة بوش." ونحن نعلم ان مثل هذا التغيير في الانظمة الديكتاتورية ليس بالامر الهين، ان لم نقل انه مستحيل عمليا.

لقد جاء منح جائزة نوبل للسلام الى الرئيس اوباما متعجلا، وكان على اللجنة ان تتريث عاما او اثنين قبل ان تقرر صلاحيته لنيل تلك الجائزة ذات الصبغة العالمية. وان كان القصد من منح الجائزة وضع اوباما امام مسؤولية تحويل الاقوال الى افعال، فتلك مقامرة غير محسوبة. فان استطاع الرئيس اوباما ان يحدث تغييرا، فلن يكون الا ذلك بجهد اناس آخرين. وان لم يستطع فعل الكثير، فان سمعة جائزة نوبل ومصداقيتها سوف تكون على المحك.

التطور برأس المال الاجتماعي

الدكتور مهدي صالح دواي

في إطار البحث عن الحلول الحقيقية لتطوير أداء الاقتصاد العراقي، والأخذ بتجربته التنموية نحو الارتقاء والحداثة، فإن ذلك يستلزم تقصي متضمنات مايعرف برأس المال الاجتماعي، بعد أن نال هذا النوع من رأس المال اهتمام العلماء والأكاديميين والمنظمات الحكومية وغير الحكومية، وعده أطارا عاما لعمل بقية أنواع رأس المال في ظل مايشهده العالم من تغيرات سياسية واقتصادية وتكنولوجية واجتماعية متسارعة بأحداثها ونتائجها.

وقد ارتبطت عبر التاريخ منظومة القيم السائدة بأحوال الشعوب ومصير دولها بغض النظر عن أحوالها الاقتصادية وماتملك من موارد وثروات، في حين جسدت الرسائل السماوية بأشخاص رسلها وأنبيائها (عليهم الصلاة والسلام) تلك المعاني، حيث ارتبطت سبل النجاة بمديات الالتزام الأخلاقي وما يؤديه من معان روحانية تقود الى سعادة الدنيا وفردوس الآخرة.

وعند دراسة أسرار التطور في الدول الرأسمالية والتجارب الآسيوية الحديثة والمعاصرة نجد أنها تمتلك رصيدا راسخا من أخلاقيات العمل الجماعي ومشاعر الانتماء للمكان، قد أنتجت جميعها تجارب رائدة في التطور الاقتصادي ومستويات عالية من الرفاهية بغض النظر عن ظروف تطورها الذاتية والموضوعية.

إن تحسسنا المفرط كمجتمع عراقي لهذا النوع من رأس المال ناجم عن التصاقه عبر التاريخ بكل تفاصيل حياتنا، وقد أثبتت السنوات السابقة بقسوتها أن لهذا النوع من رأس المال بعدين، سلبي وايجابي حددتهما جملة من العوامل الداخلية والخارجية، اذ على قدر وجود المناطق الهشة، فقد مثل رأسمالنا الاجتماعي مظلة أمان في الكثير من الأحيان في إشارة إلى أصالة ورسوخ رموز هذه المنظومة لدى العديد من أبناء هذا الشعب ولعل الوقت قد حان لإعادة تقويم هذا الرصيد الاستراتيجي من منظومة القيم والأخلاق تبعا لنتائج السنوات الصعبة التي مر بها هذا البلد، وهذا الأمر بحد ذاته يمثل تحديا رئيسيا للمؤسسات التشريعية والتنفيذية والجماهيرية، فكل جهد لايصل إلى مبتغاة من دون التوظيف الايجابي لرأس المال الاجتماعي. وتحتل (الثقة) مكانة خاصة بين القيم الجماعية المولدة لرأس المال الاجتماعي فتحققها يؤدي إلى أهم مضامين الوطنية ألا وهو الشعور بالانتماء، وهذا الشعور بحد ذاته يقود إلى نتائج اقتصادية يمكنها إن تتعامل بإيجابية مطلقة مع أنواع رأس المال الأخرى بما يعزز من مرتكزات التطور، فلا غرابة من إن تتبوأ بلدان فقيرة بمواردها مواقع السبق والتطور عندما تكون غنية بمواردها من القيم والأخلاق والسلوكيات الاجتماعية بأبعادها الايجابية الصادقة.

من هنا فان استثمار هذا النوع من رأس المال ينبغي أن يمر عبر المنظومات الآتية:-

المنظومة الثقافية

فأدوات الثقافة تؤدي إلى توجيه وترسيخ سلوك الأفراد والجماعات نحو قضية ما، وعن طريقها تتحدد هوية المجتمع ومدى تفاعله مع المتغيرات الداخلية والخارجية، وبهذا الاتجاه استفادت دول العالم من نتائج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات،فعن طريقها برزت نوافذ لاستغلال الطاقات الكامنة في الشبكات الاجتماعية المرتبطة بالانترنيت، وظهور نوع جديد من العطاء الاجتماعي يسمى (العطاء الاجتماعي الرقمي) المتمثل في حث الأفراد على التبرع بالمعرفة والخبرات المتراكمة لديهم.

ولتفعيل عمل هذه المنظومة يمكن إقامة مؤسسات علمية- أكاديمية ورياضية واجتماعية مركزية، لتكون أداة جذب لجميع أبناء العراق لتعزيز التواصل والانصهار والتفاعل فيما بينهم،ففي السابق القريب مارست الجامعات الأم (بغداد والموصل والبصرة) دورا عظيما في تنمية رأس المال الاجتماعي، في حين مثلت عملية استنساخ الجامعات وتوزيعها على أجزاء العراق بشكل مبالغ فيه نوعاً من العزلة الإجبارية لأهم شريحة فاعلة في المجتمع العراقي.

منظومة التنمية

فعن طريق هذه المنظومة يمكن إيجاد قنوات تغذية مابين رأس المال الاجتماعي وبقية الأنواع الأخرى لرأس المال، فالعراق بما يمتلك من موارد (رأس مال عيني) يمكن أن توظف لإقامة مشاريع إستراتيجية تعزز من فرص تحقيق التنمية البشرية المستدامة، فالارتقاء بمنظومة البنى التحتية للنقل والمواصلات يمكن أن تؤدي إلى فتح الأسواق المحلية فيما بينها، ومايحققه هذا الإجراء من تفاعل اجتماعي ايجابي بين مكونات المجتمع العراقي، فضلا عن معالجة مشكلة البطالة وتحقيق فوائض اقتصادية. وتعد مثل هذه الأنشطة معززة لعامل التنوع الحضاري لكل منطقة على امتداد العراق من خلال طرح موروثها وخصوصياتها الحضارية بدلا عن حالات الانكفاء على الذات وما تسببه من أنواع العزلة الاقتصادية والاجتماعية.

من جانب آخر يمكن إن يسهم تطور رأس المال البشري في تنمية رأس المال الاجتماعي عن طريق تأمين عناصر التنمية البشرية الرئيسية (الصحة والتعليم والدخل)، فتنمية بشرية عالية سوف تؤدي إلى الارتقاء لتأمين الحاجات النوعية الأخرى للإنسان (حريات، حقوق إنسان، ديمقراطية، تعليم عال، انفتاح ثقافي...الخ) ، وجملة تلك التحولات تعد من أساسيات النهوض بعناصر المنظومة الاجتماعية.

المنظومة السياسية

تمثل هذه المنظومة إطارا قانونيا ومؤسسيا راعيا لعمل المنظومات السابقة من خلال مايصدر عن السلطة التشريعية من قوانين تحدد هوية النظام السياسي للبلد. ومن منطلق هذا العمل ينبغي إن يؤسس لتنمية رأس المال الاجتماعي مناقشات على قدر عال من المسؤولية والتخصص لاغناء رموزه الاجتماعية بدءا من تصميم (علم العراق) وصولا الى المفردات المعززة للهوية العراقية كافة، وان تراعي تلك الإسهامات الموروث الشعبي للبلد بدعمه المادي والاعتباري لانتقاء الجوانب الايجابية فيه بما يواكب التطورات المعاصرة.

ويمكن للسلطتين التشريعية والتنفيذية إن تسهما في معالجة مايمكن تسميته بـ (العوق النفسي) الذي انتاب الشخصية العراقية بسبب تداعيات العقود الأخيرة، وذلك من خلال إطلاق برامج نوعية لإشاعة التفاؤل والأمل بين شرائح المجتمع. كإجراء تسهيلات للسفر السياحي، ومشاريع الإسكان واقتناء السيارات والأثاث بنظام التقسيط المريح،وإعادة تأهيل وإنشاء الحدائق العامة والمسطحات المائية الاصطناعية.

وهكذا فإن الخيارات مفتوحة أمام الجميع لترك البصمات وتأسيس المواقف لتهيئة البيئات المناسبة لعمل منظومات رأس المال كافة لتجنب التركيز الأحادي المشوه لجهود الإعمار والتنمية.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١ . يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢ . ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com